

لا تفقدوا الأمل

يحيى يخلف

عام مضى وعام قادم، عام قاس خلف وراءه فوضى، وصقيعا دوليا ناجما عن نظام دولي غير عادل، وتغييرات في المناخ أسفرت عن أعتى الكوارث الطبيعية، وأزمات اقتصادية ومالية عالمية، رافقتها أزمات غذاء وغلاء، ودق ناقوس خطر الجوع والفقر والأوبئة في الدول الفقيرة، وشهد نزولا للشباب الذين فقدوا الأمل والعدالة على امتداد العالم إلى الشوارع والميادين.

ونحن في العالم العربي جزء من هذا العالم نتأثر بسياساته ومناخاته وأزماته وكوارثه، ولسنا في جزيرة معزولة، فالعالم كما يقال أصبح قرية كونية واحدة، لكن وإن كنا في الماضي نستقبل ولا نرسل فإن العام الذي مضى وضعنا في قلب المشهد الدولي ومحط أنظار واهتمام العالم بسبب صرخة الحرية التي أطلقتها الجماهير العربية بعد عقود طويلة من أنظمة الاستبداد والتبعية، وتردد صدى هذه الصرخة في كل الآفاق، ولأول مرة صرنا نتأثر ونؤثر في مسار الأحداث ومسار السياسات الدولية.

وهكذا اخترع العالم مصطلحا لما يجري في منطقتنا العربية بوصفه بالربيع العربي وباعتباره جاء بعد شتاء طويل من صقيع قاس غيَّب موقعها ومكانتها بين الأمم، وغيَّب فيما غيَّب الحرية والديموقراطية والعدالة الاجتماعية عن شعوبها، بل وغيَّب تاريخها وثقافتها وهويتها الحضارية والإنسانية. وعلى الرغم من الجدل الذي يجري في عالمنا العربي حول هذه الثورات التي جرت في مصر وتونس وليبيا واليمن وسورية، والتساؤل إن كانت ربيعا أم شتاء أم خريفا بسبب الفوضى والصراع وعدم الاستقرار والتدخلات الخارجية في شئونها، فإن غالبية عظمى ترى أن هذه الثورات وإن لم تحقق الأهداف ماضية في سيرورتها، وما هذا الحراك والصراع الذي يشهده الشارع العربي بين قوى الإسلام السياسي والقوى المدنية الليبرالية إلا دليل صحة في سياق مخاض وصراع يسعى لتحديد الخيارات ويمضي

الثورات لتحقيق أهدافها.. وإذا ما كنّا نتخوف ونقلق من المشاهد التي تبثها الفضائيات وما يوحى بخطر الانفلات والفوضى، فإن الحقيقة التي لا جدال فيها تؤكد أن مسيرة النهوض ماضية في طريقها وأنها ستحقق أهدافها إن أجلا أم عاجلا. وإذا كانت ثورات شعبية في التاريخ القديم والمعاصر قد أطلقت رسالتها ومنها الثورة الفرنسية التي أطلقت مدونة حقوق الإنسان، فإن الثورات العربية أطلقت مدونة الحرية التي قرأتها كل الأخلاقيات الثقافية والإنسانية على امتداد هذا العالم، ولن يعود الزمن إلى الخلف.

في هذا المناخ والمشهد العربي والعالمي لم يكن المشهد في فلسطين ساكنا، بل تفاعل مع محيطه العربي.. تفاعل مع الثورات وتأثر بها، وكان هناك حراك شبابي في شوارع المدن، ورفع هذا الحراك شعارين رئيسين: إنهاء الاحتلال وإنهاء الانقسام. وعلى الرغم من انشغال الدول العربية بقضاياها الداخلية فإن القضية الفلسطينية التي وصلت في موضوع المفاوضات مع الحكومة الإسرائيلية إلى طرق مسدودة نظرا لعدم وجود راع محايد لعملية السلام، فإن القيادة الفلسطينية نقلت القضية إلى مكانها الطبيعي وهو الأمم المتحدة، ونجحت في مقاومة الضغوط الإسرائيلية والأميركية وحققت نجاحات كبرى حين حصلت على العضوية الكاملة في منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو)، وحين توجهت إلى الأمم المتحدة وحققت انتصارا تاريخيا وحصلت على عضوية دولة (مراقب) يؤهلها إلى المشاركة في جميع مؤسسات المنظمة الدولية وفي مقدمتها محكمة الجنايات الدولية، فضلا عن ذلك أعلنت القيادات الفلسطينية أنّ الخطوة التالية بعد الاعتراف بالدولة ستكون في العمل على تحقيق المصالحة. لم يثمر الربيع العربي بعد عن توطيد مكانة العالم العربي ليأخذ دورا مؤثرا في المشاركة بقوة في رسم سياسات إقليمية ودولية منصفة تحقق الدعم لأعدل قضية في هذا العصر وهي القضية الفلسطينية، ومع ذلك فإن الشعب الفلسطيني ما زال يتطلع إلى بعده العربي القومي الذي يشهد تحولات تاريخية، ويتطلع إلى أن تحقق ثوراته أهدافها وتنخرط في جهد فعّال لنصرته؛ وفي هذا الصدد فإن مؤسسة الشهيد والقائد والرمز الخالد للشعب الفلسطيني ياسر عرفات، وإيمانها منها بوحدة المصير القومي، تطلق مبادراتها الفكرية لتعميق الصلة مع هذا الحراك العربي ونخبه السياسية والثقافية والفكرية، وتعميق الحوار حول ما طرحته الثورات من قضايا مثل: الحرية، والديموقراطية، والدولة المدنية، والدستور، والعدالة، والمواطنة وغيرها، وهي قضايا تناولها مفكرو فكر النهضة من رفاة الطهطاوي ومحمد عبده والكواكبي والأفغاني إلى سلامة موسى وطه حسين وجلال أمين ومئات المفكرين في مشرق الوطن العربي ومغربيه. تأتي هذه المبادرة

من خلال إصدار هذه المجلة الفصلية (أوراق فلسطينية) لتكون منبرا للفكر التنويري، ترافق جدل الخيارات حول النظام العربي الجديد، وما تطرحه التجربة من فكر جديد وثقافة جديدة، فكر الحرية والحدثة، وثقافة التغيير والتنوير. تفتح المجلة صفحاتها لكل الكتاب والمفكرين مهما اختلفت آراؤهم أو اجتهاداتهم مساهمة منا في تعظيم الحوار، ووضع العقل في المكان العالي الذي يستحق. وإننا إذ نبدأ إصدارنا في عام جديد مليء بالتحديات والأزمات العالمية، وإذ نبدأ إصدارنا في عام جديد يظلل أوضاعنا العربية بظلال القلق والانتظار، فإننا لا نفقد التفاؤل والأمل بمستقبل القضايا العربية، ولا نفقد التفاؤل والأمل بمستقبل القضية الفلسطينية. ونرى بالنسبة للحراك العربي أنّ ما بين الانتقال من الديكتاتورية إلى الديمقراطية مرحلة ملتبسة، ونرى بالنسبة للقضية الفلسطينية أن هناك شعبا عظيما متمسكا بحقوقه في العودة وتقرير المصير وإقامة الدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وتحظى قضيته العادلة بدعم الغالبية العظمى من دول العالم وتحظى بدعم الأخلاقيات العالمية. لذا نقول إننا نقف مع شعوبنا وأمتنا وكل شرفاء العالم في جبهة الأمل.

ويصدر عددنا الأول والشعب الفلسطيني يحتفل بالذكرى الثامنة والأربعين لانطلاقة الثورة الفلسطينية، هذه الثورة المسلحة التي أعادت الاعتبار للهوية وللشخصية الوطنية ووضعت القضية الفلسطينية في عمق المشهد الدولي، ولعله من حسن الطالع أن تصدر مجلتنا في هذه المناسبة التي هي عيد وطني للفلسطينيين. مرة أخرى نرحب بكم ونفرش لكم بساط المحبة، ونحلم معكم بالأيام الجميلة التي لم تأت بعد، ونقول بكل ما نملك من ثقة: تفاءلوا ولا تفقدوا الأمل.